مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 20 (2014) : 175 – 181
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي 986هـ-1012هـ/1578 م -1603م.

أ / ابن قومار جلول

جامعة غرداية

غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

مقدمة :

شهد المغرب الإسلامي مع مطلع القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي تدهورا سياسيا، وتفككا اجتماعيا، وبات مطمعا للقوة الأيبيرية المتصارعة فيما بينها، لتبسط نفوذها على شمال إفريقيا ،وقد وصف أندري جوليان هذه الوضعية بأن بلاد المغرب الإسلامي، أصبحت "عبارة عن فسيفساء سياسية "،و بذلك دخلت بلاد المغرب في أزمة خانقة يمكن أن نطلق عليها اصطلاحا أزمة القرن السادس عشر ، فأصبح المغرب الأقصى كغيره من الإمارات،هدفا للبرتغاليين الذين رأوا الفرصة سانحة للتدخل في شؤونه ،بعدما استنجد محمد المتوكل بالملك الشاب سيبستيان Sebastienلينظّم هذا الأخير حملة عسكرية كبيرة سنة986هـ/ 1578م عرفت بمعركة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة ،كان الانتصار فيها عظيما للمغاربة بقيادة السلطان عبد الملك السعدي و أخيه أحمد المنصور ، الذي استطاع بدهاء وحنكة سياسية كبيرة أن يستثمر هذا الانتصار، وأن ينقل المغرب الأقصى نقلة نوعية في العلاقات الدولية،فأصبحت الدول الفاعلة في السياسة آنذاك في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،تخطب ودّه ،وتسعى للتحالف وربط علاقات سياسية واقتصادية معه.

فما هي مظاهر القوة لدى أحمد المنصور بعد هذا الانتصار ؟

وكيف استثمر هذا النصر ؟

وكيف استطاع أن يجنب المغرب الأقصى أطماع الأتراك العثمانيين فيه ؟

اهتم المنصور بعد انتصاره الساحق في وادي المخازن، على إنشاء جهاز إداري وسياسي قوي، وكانت حكومته تضم وزراء من مستوى ثقافي عال ،كأبي فارس عبد العزيز الفشتالي،وعبد العزيز المزوار، وإبراهيم السفياني[1]

و استطاع أن يكوّن دولة قوية ،بمقاييس القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، رغم السنوات القليلة نسبيا التي قضاها في الحكم ،والتي تقدر بثلاثة وعشرين سنة تمكن خلالها من إبراز قوة الدولة وأبهة الحكم ومنها :

1- بناء جيش سعدي قوي:

أنشأ المنصور جيشا مغربيا قويا ،تكونت نواته الأولى منذ عهد محمد الشيخ، واكتملت هيكلته في عهد قائد معركة وادي المخازن عبد الملك السعدي،وقد ضمّ هذا الجيش عناصر من المرتزقة الأتراك و الأعلاج، بالإضافة إلى وحدات أندلسية، وعناصر وطنية ، من البربر والقبائل العربية[2]

جعل أحمد المنصور من الأتراك العثمانيين وحدة عسكرية مستقلة ، بعد أن كانوا أيام سلفه ضمن فرقة تجمع مرتزقة و أعلاجا من أجناس مختلفة . وأستطاع المنصور أن يدمج الوحدات الأندلسية والأعلاج - وهم على العموم مسيحيون من أوروبا يدخلون غالبا في الدين الإسلامي يطلق عليهم اسم المهتدون - في فريق واحد مع سائر الوحدات الوطنية، التي تساهم في العمليات الحربية . ويزودنا أبو فارس الفشتالي بمعلومات دقيقة عن الحرس الخاص الذي كوّنه المنصور من الأتراك العثمانيين ، ولذلك يمكن الرجوع إليه في هذا المضمار .

حظي الجيش المغربي في عهد أحمد المنصور بقادة ذوي كفاءة عسكرية عالية ، تتميز بالوطنية ومنهم "إبراهيم بن محمد السفياني" الذي قاد الجبهة الأمامية في معركة وادي المخازن، كما قام بدور كبير في ردع القبائل الثائرة وقطاع الطرق[3]

وقد اهتم المنصور بصناعة المدافع "الأنفاض" كما بلغ في عهده الأسطول البحري تطورا كبيرا بزيادة قطعه البحرية ،بعدما كان عددها في عهدي السلطانين " عبد الله الغالب" و"عبد الملك المعتصم " أربعين قطعة فقط. [4]

2- القضاء على الحركات المناوئة للحكم :

واجه المنصور خلال حكمه تمردات وثورات عديدة ، كانت في غالبها من أفراد أسرته فكادت أن تأخذ الدولة ،إلى ما لا تحمد عقباه ،إلا أنه تمكن من القضاء عليه واحتوائها، بسبب قوته العسكرية وبراعته السياسية ونذكر منها:

أ- ثورة داود بن عبد المؤمن وأهل السوس 987هـ-988هـ/1579م-1581م:

في أعقاب تعيين أحمد المنصور ولده "محمد الشيخ وليا للعهد، ثار داود ضدّ عمه المنصور في السوس جنوب المغرب، حيث كان داود يمنيّ نفسه بولاية العهد،وقد وجد في أهل السوس أنصارا لثورته ،فأسرع المنصور بتوجيه حملة استطاعت سنة 988هـ/1580م من محاصرة داود في "واد هرغة"، لكن داود استطاع الفرار إلى الصحراء عند عرب "الودايا" ليموت هناك[5].

ث- تمرد محمد الشيخ 992هـ/1584م:

بعدما استطاع المنصور أن يقضي على ثورة الناصر؛ التي كانت قوية جدا وهددت حكم المنصور في العمق ،عاش المغرب وباء الطاعون؛ الذي فتك بالكثير من الناس، واستمر سائدا فيه سبع سنين .

لكن ما أثر كثيرا في نفسية المنصور، هو تمرد ابنه محمد الشيخ عليه، وسوء سيرته وقد قال المجهول في هذا الصدد ما نصه :

« ... قبيح الذات والأفعال غدارا لمن خدمه، ونصحه، مسرعا إلى الفساد في القينات ... مصرا على الخمر والحشيش... ». [6]

وقد جمع حوله أعداء أبيه كعرب أولاد حسين، وبعض الموالين للأتراك العثمانيين ،كعرب أولاد طلحة. وفي أكتوبر وجه المنصور حملة قوامها 8000 مقاتل، لتعقب ابنه "محمد الشيخ"، فلم يكن أمام ابنه المتمرد إلا اللجوء إلى إحدى الزوايا ليتم القبض عليه بعد معركة عنيفة. [7]

ب- ثورة الحاج قرقوش997هـ/1588م:

بدأت ثورة المرابط "الحاج قرقوش"في شمال المغرب بمقاطعة الهبط، حيث دعا لنفسه بالملك، والخلافة وعبر عن هذه الحال الفشتالي بقوله: «....ولبس شارة الملك واتخذ الآلة وتسمى في كتابه بأمير المؤمنين...»[8]وأدّعى أنه من الأشراف، وجمع حوله خلقا كثيرا ليشتعل لهيب ثورته في 16صفرسنة996هـ/15جانفي1588م ،فحرك له المنصور قوات من حملة البنادق ،قوامها 6000 فارس ،فهزمه وتوارى " الحاج قراقوش" على الأنظار، ثم ألقي عليه القبض، وأعدم في فاس في28رجب997هـ/1596/6/12م. [9]

ت – ثورة الناصر بن عبد الله :1003هـ-1004هـ/ 1595م-1596م والتي وجدت دعما قويا من إسبانيا. [10]

حيث انتقل المولى الناصر بن عبد الله الغالب صبيحة معركة وادي المخازن إلى معسكر البرتغال للانضمام إلى أخيه محمد المتوكل "المسلوخ" ولما قام الملك الإسباني فيليب الثاني بضم البرتغال سنة 1581م ،وجد الناصر الفرصة سانحة ليطلب من فيليب الثاني الدعم العسكري ضد عمه المنصور ،إلا أن الملك الإسباني لم يلتفت إليه بسبب مشاغله الداخلية والخارجية وانهزامه في معركة الأرمادا [11] ضد الإنجليز،وفي هذه الظروف كان المنصور يبالغ في تأييده للضون أنطونيو الثائر ضد فليب الثاني ويتعامل مع المعسكر البروتستانتي وإليزابيت ملكة الإنجليز، وقد أشار الفشتالي لذلك بقوله : « ... بما أمدها به من نحاس لتفريغ مدافع النار وإطلاق ملح البارود لها بالشراء من ممالكه الشريفة وإمدادها بالمعادن التي أعوزنها ببلادها ... » [12]

ولما حاول المنصور استغلال ظروف أوروبا الحرجة للضغط على فيليب الثاني،ومساومته للتنازل له عن أصيلا، لجأ الملك الإسباني لتعامل مع المنصور بالمثل ،ونقل الأميرين السعديين اللاجئين في إسبانيا إلى مدينة "كرمونا" Carmona[13]في شهر ماي سنة 1589م ، وأغرى الناصر وزين له تنظيم الثورة ضد حكم المنصور، وقد أورد الفشتالي ما نصه: « ...شمر للاعتمال في المكايد التي هي جنده الأقوى وحصنه الذي يلوذ به عند الشدائد ،فأملى للناصر لتفريق الكلمة وتحريك حوار الفتنة ... »[14]

وفي شوال واجهه، بتوجيه حملات عسكرية عليه ،والتقى الفريقان على مقربة من فاس قرب جبل مدغرة في معركة دامت ساعة ونصف [15] انهزم فيها الناصر، وفرّ بعد أن أصيب برصاصة في ركبته، وقد فقد حوالي خمسة آلاف من جنده ،وبعد مطاردته ،تمّ اعتقاله وإعدامه سنة 1005هـ/1596م.

- غزو المنصور للصحراء 991 هـ -992هـ /1583-1584م:

كانت ناحيتا "توات"[16]و "تيكورارين" [17] الواقعتان في الأراضي الصحراوية الجزائرية تتمتعان بحكم ذاتي ، وتخضعان للملوك المغاربة الذين مدوا نفوذهم إلى تلك الجهات ، وقد قرر المنصور بعد ثلاث سنوات من توليته، وبعد أن اكتسب زمام القوة العسكرية ،ارتأى أن يدخل المنطقتين المذكورتين ،اللتين لم يكن الأتراك العثمانيين يعيرونهما اهتماما ، غير أن بعدهما لم يساعد على التعجيل بدخولهما ، ولم يتم ذلك إلا في سنة 990هـ /1583م ، حيث أسندت قيادة الحملة إلى القائد "أحمد بن بركة" ، و"أحمد الحداد العمري" ، وقد

تطلب الوصول إلى هذه الجهات شهرين ونصف من السير انطلاقا من مراكش ، على أن الأتراك لم يقوموا بأي ردّ فعل ضد هذه الحملة ؛ التي كانت لها نتائج إيجابية من الناحية الاقتصادية ؛ أتاحت للمنصور الذهبي أن يتهيأ ويستعد لفتوحات أوسع نطاقا من الجهات المجاورة .[18]

- علاقاته مع بلاد السودان:

أطلق الجغرافيون القدامى مصطلح السودان على مجموع أراضي إفريقيا الغربية ، الواقعة من جنوب الصحراء إلى النيجر ، و مع مطلع القرن الخامس عشر بدأ الأوربيون من إسبان وبرتغاليين و فرنسيين وإنجليز في استغلال سواحل إفريقيا الغربية، بحثا عن الذهب والرقيق ويعتبر غزو السودان من طرف المغرب الأقصى أثرا من آثار موقعة وادي المخازن، إذ وفرت هذه الأخيرة للمنصور سبل القوّة والمكانة ، وحوّلت المغرب من بلد كان بالأمس القريب مطمعا لأعدائه ، تهاجم أراضيه وتحتل ثغوره من البرتغاليين والأسبان والأتراك ،إلى بلد يجيّش الجيوش ، ويبعث الحملات العسكرية للتوسع جنوبا، ومضايقة أعدائه الأوروبيين .ففي سنة 989هـ/1582م استنجد "أسكية بن داود" ملك "بورما" بالمنصور لإخضاع بعض القبائل الثائرة عليه [19]، بعد أن يئس من الأتراك في الجزائر ، فأشترط عليه المنصور الدخول في بيعته ، وبعد وفاة " أسكية بن داود "خلفه في الحكم ابنه "الحاج محمد" ، لكن المنصور أعلن الحرب على السودان ، فجرد حملة عام 990هـ/1583م من عشرين ألف مقاتل بقيادة "محمد بن سالم" "وعبد المولى بن عيسى" ؛ لكن الحملة فشلت وهلك معظم الجيش عطشا وجوعا ، وقد عارض العلماء هذه الحملة ، واعتبروها ليست بفتح ؛ لأنّ بلدان المسلمين لا تفتح .

تهيأ المنصور لحملة ثانية سنة 998هـ/ 1590م بقيادة "جؤذر باشا" (ذي الأصل الأندلسي من نواحي غرناطة ، انضم إلى الجيش مع أخيه محمود في عهد المنصور)[20] و قد جلب معظم الأسلحة من إنجلترا التي زوّدت المغرب أيضا بمقادير كبيرة من القماش الصالح للخيام ، و لاشك من أن إنجلترا لم تكن خاسرة بهذه الصفقة ما دام المغرب يواجه بلدا غير مسيحي ، فضلا أن هناك صفقة بين البلدين ناتجة في الواقع عن عداء مشترك لإسبانيا ، وبلغ عدد الجيش المغربي اثنين وعشرين ألفا ، و وجه المنصور خطابا إلى قاضي تومبوكتو "أبي حفص عمر بن محمود"، ليستعمل نفوذه لدى سكان السودان، من أجل الدخول في طاعة ملك المغرب .

ان الجيش السوداني ما بين ثمانين ألف ومائة ألف مسلح بالأسنة والسّيوف ،وتم اللقاء قرب مدينة "كاغو"[21] شمال "تونديبي" سنة 999هـ /12-03-1591،حيث انتهى بهزيمة الجيش السوداني بقيادة "إسحاق سكية"[22] وتمّت سيطرة العاهل السّعدي على السودان، وقد ذكر صاحب كتاب "تأريخ الدولة السعدية" مستنكرا ما قام به المنصور من تنكيل بأهل السّودان بقوله : « ... فأمر بالمفرحات غدوة وعشيا ثلاثة أيام فرحا بقتل عباد الله المسلمين، والكل يلتقي عند الله ... وأخذ أموالهم وتمليك عيالهم وأولادهم ،وفرح بذلك فرحا عظيما وسرّ به سرورا جسيما ... »[23]

بينما قال الفشتالي عن المناسبة مانصه :

« ... التهنئة لتمام هذا الفتح الكريم ،والمن الجسيم وجلس للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكنت أول من رفع إليه كلمته ... » .[24]

فالملاحظ أن غزو المنصور للسودان لم يكن عليه إجماع كبير من العامة والعلماء، فهناك من اعتبره تعديا على شعب مسلم لا يرقى للفتح، لأن المسلم لا تفتح بلاده ، وهو الرأي الذي عبر عنه المجهول صاحب كتاب تأريخ الدولة السعدية الدرعية التّاكمادرتية ،بينما مؤرخ المنصور عبد العزيز الفشتالي فقد هلل للفتح ورحب، وهو موقف طبيعي لأنه محسوب على رجال البلاط السعدي .

وقد أورد القاضي محمود كعت [25] صاحب كتاب "الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور [26]وعظائم الأمور" ،احتلال المغاربة لقسم من السودان الغربي بالقوة يعود إلى فساد أخلاق السكان، واستهتار المتأخرين من ملوكهم بالقيّم. ويمكن حصر الأسباب التي أدت بالمنصور إلى غزو السودان فيما يلي.[27]

أ- عامل التوسع السياسي :

فالمنصور السعدي كان يعتبر نفسه خليفة ، ويستمد سلطة خلافته من نسبه ، وشجعه فتح تيكورارين وتوات على التمادي في غزوه جنوبا ،لأنه أمن كل مضايقة من الخارج، بسبب الهيبة التي اكتسبها بنصره في القصر الكبير.

ب – العامل الاقتصادي :

كانت موارد المغرب، أقل من أن تتسع لسد حاجيات الدولة من نفقات عسكرية، ومنشآت عمرانية واجتماعية ، وكان معروفا عن السودان ،أنها تتوفر على كميات معتبرة من الملح، الذي كان يباع بالذهب ، ويستعمل كعملة صعبة في تجارة الصحراء[28]، لذلك طمع المنصور في استغلال خيرات السودان.[29]

بالرغم من أن بلدان السودان لم تكن معروفة معرفة جيّدة لدى البلاط السعدي، وذلك أن التجارة مع السودان كان يقوم بها أشخاص لحسابهم الخاص ، ويتحملون وراءها المشاق الكثيرة وهذا ما يفسر فشل حملة المنصور العسكرية الأولى على السودان.

ج- العامل العسكري:

لم تكن السودان تتوفر على قوّة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح ،فليست للجيش مدافع ولا بنادق ،وعلى

العكس من ذلك، فإنّ الجيش المغربي كان مجهزا على أحدث طراز بالنسبة للقرن السادس عشر الميلادي /العاشر الهجري. [30]

- الرخاء الاقتصادي:

أصبح المغرب بعد معركة وادي المخازن وتوجه المنصور لغزو بلدان الصحراء، يعيش في انتعاش اقتصادي كبير، ورفاهية اجتماعية حسنة ،بسبب ما تحصل عليه المنصور من ذهب السودان وتبره وعبيده [31]، وما نتج من أموال نتيجة مفاداة الأسرى المسيحيين والهدايا، التي قدمت له من الملوك والقناصل، وقد استغل المنصور هذه الإمكانات في تقوية وتطوير قوته العسكرية البرية والبحرية ،بصناعة السفن ،والأسلحة ،مستعملا بعض الأسرى ،ممن لهم معرفة وخبرة علمية واقتصادية، وقام بتطوير صناعة السكر ؛التي أصبحت من الصناعات الأولى في المغرب. [32]

فهذا الثراء الكبير للمغرب، دفع بالكثير من الدول أن تتقرب إليه وترغب في التعاون معه، فسيطرته على التجارة، ومناجم الذهب، رفع من قيمة إمبراطوريته الدولية ، وجعل له وزنا خاصا في العالم الخارجي،حتى بدأت إسبانيا تخشى من سطوته، وتخاف من قوته المتنامية، التي قد يستعملها ضدها. [33]

- تحكم المنصور في طرق التجارة الصحراوية :

أصبح المنصور إمبراطورا تدين لطاعته بلادا واسعة من شمال غربي إفريقيا ،نظرا للسواحل التي سيطر عليها ،وتمتد مئات الكيلومترات على ضفاف المحيط ، الأمر الذي جعل المنصور يشرف على أعظم طرق المواصلات البرية بين السودان والمغرب من جهة، وبين إفريقيا الشرقية ومصر من جهة أخرى، وقد شجعه على التمادي في فتوحاته في الصحراء الإفريقية وبلاد السودان ، ضعف الطريق البحرية المتوسطية، غداة التوسع التركي في الشمال الإفريقي،وإعلانهم الجهاد البحري ضد الدول الأوروبية ،التي لم يمضوا معها معاهدات واتفاقات. [34]

- المنصور وحلم استرداد الأندلس :

كانت السنوات الأخيرة من حكم "فيليب الثاني" ملك إسبانيا قلقة جدا ،إذ الفشل والخيبة وتوالي الهزائم بعد أن تكبد خسائر جسيمة في معركة الأرمادا في 10 أوت 1588م ،قد دفع بأحمد المنصور إلى التعاون مع المعسكر "البروتستانتي" ،تحدوه رغبة العمل ضد فيليب الثاني، كرد فعل لما قام به من تأييده لثورة الناصر ،ولأن احتلال الإنجليز لمدينة قادس سنة 1596م، أبطل أسطورة إسبانيا القوية المنيعة، وأظهر حقيقة أوضاعها المضطربة، فحرك ذلك في نفس المنصور،حلم استرداد الأندلس ،حظيرة المسلمين المفقودة ،حيث ذكر الفشتالي ما نصه :

« ... إن يريدنا على عدو الدين بفضله ،وينجز لنا وعده الصادق في إظهار دين الحق كله، ويسهل علينا بفضله ومعونته أسباب فتح الأندلس، وتجديد رسوم الإيمان بها،وإحياء أطلاله الدرس حتى ينطلق لسان الدين فيها بكلمة الله التي طالما سكت عنها بدائه وخرس وشرق بريقه فغصّ و احتبس... ». [35]

وقد ظهر هذا العزم في توجيه المنصور ثلاث سفن مسلحة، ومحملة بالمؤن انضمت يوم 25 جوان 1596م إلى الأسطول الإنجليزي والهولندي، الذي كان يحاصر مدينة قادس الإسبانية تحت قيادة(Charles Haward)، ليؤكد للإنجليز والهولنديين ،مدى حرصه على محاربة الإسبان.

أعرب المنصور عن أمله في فتح الأندلس، إذ أن احتلال قادس قد أعطى الدليل على إمكانية فتح إسبانيا متى توحدت الجهود، واتخذت كل الإمكانات، وفي شهر مارس1597م، وصلت للمنصور رسالة من الملكة ايليزابيت ،تطلب فيها من المولى أحمد أن يقوم بتخريب المناطق الزراعية الموجودة حول مراكز الاحتلال الإسباني بالمغرب، وأن يفرض حصارا اقتصاديا شديدا عليها. [36]

وأمام هذه الأوضاع الخطيرة التي تمر بها إسبانيا، رأى فيليب الثاني، أن يمنح عفوا شاملا عن الساسة البرتغاليين ؛الذين كانوا يتعاونون مع الإنجليز والمغرب الأقصى ،حتى لا تسخرهم "إليزابيث" في المشكلة البرتغالية ،وتستخدمهم لخدمة أغراضها، ومشاريعها ضد إسبانيا، وتأجيج المعارضة المسلحة ضد الوجود الإسباني على أرض البرتغال.

- علاقاته مع الإنجليز :

بعثت الملكة إليزابيث خطابا للمنصور في أبريل 1585م ،تقدم فيه شكرها لما أبداه من رعاية الإنجليز، الذين وصلوا للمغرب للتجارة وفي 05 جويلية من نفس السنة، و أصدرت الملكة مرسوما بتأسيس شركة "بلاد البربر" لاحتكار التجارة المغربية لمدة اثني عشر عاما، وتدين هذه الشركة بوجودها للجهود، التي بذلها لدى البلاط الإنجليزي كل من "إيرل أوف ليستر" وأخوه "إيرل أوف أرويك" ،حيث كانا يسيطران تماما على تجار لندن الأربعين؛الذين كونوا هذه الشركة . [37]

وقد استهدف تأسيس شركة بلاد البربر تحقيق غرض آخر، وهو أن يقف تجار لندن حائلا في مواجهة من أسموهم بالمتطفلين، الذين قاموا بالاتجار في السلاح، والذخيرة،والأقمشة الرخيصة بكميات كبيرة ،مما أدى إلى تدمير السوق ،و وقوع أضرار بالتجارة، والتجار الشرعيين. [38]

كان أول قرارات الشركة الجديدة ، هو إرسال وكيل لها في البلاط السعدي ، ليحافظ على العلاقات الودية بين البلدين، وقد وصل هذا الوكيل المدعو "هنري روبرتس" إلى آسفي في 04 سبتمبر 1585م، واستقبله المنصور بحفاوة عظيمة ،ومنحه دارا في الحي اليهودي،حيث أقام هناك ثلاثة سنوات، وقد

انعكس تحسين العلاقات بين المملكتين في المرسوم؛الذي أصدره أحمد المنصور في 03 ربيع الآخر عام 996هـ/ أول مارس 1588م، والذي قدم فيه الحماية والرعاية الخاصة للتجار الإنجليز.[39]

الخاتمة:

بعد نصر وادي المخازن دخل المغرب الأقصى حقبة تاريخية جديدة في ظل سلطانه القوي أحمد المنصور السعدي، حيث استطاع هذا الأخير أن يستثمر انتصار واد المخازن،ويظهر في الساحة الدولية في القرن السادس عشر كقوة سياسية، وعسكرية فاعلة في السياسة الدولية مع القوى المحيطة به في الحوض الغربي للمتوسط ،وهي إسبانيا والدولة العثمانية وفرنسا وإنجلترا .

وبذلك اكتسب المنصور من القوة العسكرية والمكانة الدولية، ما يمكنه أن يهدد الوجود الإسباني في المغرب، وخاصة لو توجه صوب أعداء إسبانيا التقليديين، الإنجليز، والدولة العثمانية، وقد يستعمل المغرب كقاعدة لمحاصرة الإسبان من الجهة الجنوبية،في الوقت الذي كانت فيه المسألة البرتغالية على أشدها، كان فيليب الثاني يخشى أن يمد أحمد المنصور العون للثائر "الضون أونطونيو" ويدعم ثورته بالمال والسلاح، فقد بات أحمد المنصور في المغرب على درجة كبيرة من القوة واستطاع ،أن يتغلب على كل الصعوبات الداخلية والخارجية ؛التي واجهته في بداية عهده على الخصوص ويبني مغربا قويا ؛ وصارت الدول الفاعلة في القرن السادس عشر تحسب له ألف حساب، فلم يعد يخشى الانتقام من جيرانه العثمانيين، والإسبان ،ويشهد على ذلك إقدامه على شن هجوم على "توات" "وتيكورارين" في سنة 991هـ/ 1583موفرض الحصار على طنجة في سنة 992هـ/1584م، ،ثم على سبتة سنة 996هـ/1588م، وإرسال حملة في مطلع سنة 998هـ/ 1590م لاحتلال بلاد السودان الغربي.

ومن القضايا التي استطاع فيها احمد المنصور ربح الوقت ومماطلة فيليب الثاني، هي مسألة العرايش؛التي كان فيليب الثاني يسعى بكل السبل، ويضغط على المنصور بقوة، من أجل الحصول عليها ،باعتبارها ميناء إستراتيجي لإسبانيا ،لكن حنكة أحمد المنصور الدبلوماسية وإتقانه تبديل الأدوار بينه، وبين الأتراك، و الإسبان ،لم تحقق لفيليب الثاني أمنيته في الحصول على ميناء العرايش في حياته.

ويمكن القول أن نصر وادي المخازن سنة 1578م نقل المغرب نقلة نوعية وأصبح المغرب ليس ذلك البلد الذي كانت الدولتان الإيبريتان في القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تتنفسان عليه من أجل بسط النفوذ وإنما أصبح المغرب بعد معركة وادي المخازن قويا ومؤثرا في السياسة الدولية .

الهوامش:

(1) Brahim Harkat : **le Makhzen Saàdien** , in R. o .m .m. 1973 , vol 15-16 , P 49.

(2) إبراهيم حركات : **أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة** ، في مجلة دعوة الحق ، المغرب أوت 1978م ، عدد 8، ص 64.

(3) نفس المقال.

(4) نفس المقال.

(5) أنظر عن هذه الثورة : عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء** ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ، الرباط ، د ت ، ص ص 56- 58.

(6) المجهول: **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدارتية** ، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة ، ط1،دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش 1994م، ص69.

(7) عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق ، صت.

(8) نفس المصدر ، ص94.

(9) بن خروف عمار : **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي** ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ج1، الجزائر 2006 ، ص 129.

(10) كريم عبد الكريم : **المغرب في عهد الدولة السعديّة** ،جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب 1978، ص195.

(11) الأرمادا تعني الجيش الكبير ،وهي اسم معركة بحرية بين إسبانيا والإنجليز ، كان النصر فيها للبريطانيين ، انتهت في 10 أوت سنة 1588م عن هذه المعركة أنظر جفري براون : **تاريخ أوروبا الحديث** ،تعريب علي المرزوقي ،الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن،د ت ،ص202.

(12) عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق ، ص193.

(13) مدينة إسبانية في مقاطعة بروفانس ،إحدى حضائر الأندلس انظر عنها
Alexander Louis- Joseph**: Itinéraire descriptif de L Espagne,** imprimerie de Firmin dido ,SD ,P240.

(14) عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق ،ص171.

(15) De Castries henry **: les sources inédites de L histoire du Maroc** ,1serie, Dynaste sadienne, Archives bibliothèques France, T2, Paris. P224.

(16) واحة كبيرة بالجنوب الجزائري ،تضم عدة قرى وقصور ، من أشهر مدنها تيميمون وقوراره. أنظر هامش مولاي بلحميسي: **الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني** ، الشركة والوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981، ص 67 .

(17) معناها بالبربرية المعسكرات للمزيد من الإطلاع أنظر ، الوزان الحسن بن محمد الفاسي **: وصف إفريقيا** ، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، ج2، بيروت، د ت ، ص 133.

(18) ابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي: **درة الحجال في أسماء الرجال**،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار التراث،1970القاهرة ،ج1،ص119.

(19) حركات إبراهيم : المقال السابق ، ص 70.

(20) جوليان شارل أندري **: تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، ج2، الدار التونسية للنشر ، 1985 ، **ص** 275.

(21) عاصمة مملكة صنغاي تقع على الضفة اليسرى من نهر النيجر أنظر أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،** ط1 ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1972، ص 269.

(22) ذكر المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعيدي بالتفصيل حوادث غزو السودان، ومقاومة أهله وللمزيد من الإطلاع أنظر كتابه **تاريخ السودان** :طبعه هوداس، المكتبة الأمريكية والشرق ، باريس 1981**.** ص ص 149 – 161.

(23) المجهول : المصدر السابق ، ص ص 67-68.

(24) الفشتالي أبو فارس عبد العزيز**:** المصدر السابق ، 156.

(25) توفي حوالي سنة 1002هـ/1593 ، حضر احتلال السودان ، يعتبر كتابه تاريخ الفتاش مصدر من مصادر القرن السادس عشر ، أنظر عنه ، عبد القادر زبادية : **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989، ص 56 .

(26) شعب زنجي يسكن الجزء الأكبر من بلاد السنغال ، ومدينة تكرور تعرف عند ابن خلدون بمدينة زغاية ، وأهل التكرور يعيشون على الزراعة ،كما عرفوا بالشجاعة في العصور الحديثة أنظر عن هذا الشعب الإفريقي إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983 ، ص 171 .

(27) حركات إبراهيم **: المغرب عبر التاريخ** ، ط1، دار الرشاد الحديثة ،ج 2 ، الدار البيضاء ، المغرب1978، ص298.

(28) العربي إسماعيل ا:المرجع السابق ، ص 329.

(29) زبادية عبد القادر : المرجع السابق ، ص 43 .

(30) نفس المرجع ، ص 48.

(31) كان الملح يباع بالذهب ، ويستعمل عملة صعبة في الصحراء، لمبادلته بكل ما يباع ويشترى. أنظر إسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص329.

(32) عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص 176.

(33) Paul Berthier: la canne à Sucre richesse de l ancient Maroc , in R.O .M .M ,1964 , NO2 , P 386.

(34) عبد الكريم كريم
: المرجع السابق ، ص 174.

(35) الفشتالي أبو فارس عبد العزيز**:** المصدر السابق ، 191.

(36) De Castries henry : les sources inédites de L histoire du Maroc ,1serie, dynaste sadienne , Archives bibliothèques D'Angleterre , T2 , Paul geuthner , paris et Luzace , londre . p121.

(37) روجرز ،ف،ج **: تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900** ، تعريب يونان لبيب رزق ، ط1 ، دار الثقافة ، دار البيضاء ، المغرب 1981 ، ص 46.

(38) نفس المرجع .

(39) نفس المرجع ، ص 47.